

# مسؤولية بريطانيا عن التطهير العرقي الإسرائيلي في فلسطين

بقلم: ديفيد كرونين

يميل أنصار إسرائيل من بين النخبة البريطانية الحاكمة إلى ترديد الكليشيهاتها عن الدولتين – بريطانيا وإسرائيل- اللتين تتقاسمان القيم ذاتها. إذا كانت السرقة والنهب تُعتبران قيما، فيسكون لهذه الازمة التي يكررونها صدى من الحقيقة حقا.

مع ذلك، فإن توقع الأمانة والشفافية الكاملة من حكومة تيريزا ماي لن يكون واقعيًا. ولذلك، فإن من غير المفاجئ أن يكون أحد زملائها في مجلس الوزراء قد تمنى لإسرائيل عيد ميلاد سعيدا ببلوغها سبعين عاما، بينما يبشر كل الوقت بالتزامه «بالعدالة والرحمة والتسامح». والذي يرسل هذه التهنة هو غافن ويليامسون، وزير الدفاع البريطاني، بينما تقوم إسرائيل بذبح المتظاهرين الفلسطينيين العزل في غزة. الجزء المهم الذي يتم حذفه من الخطاب حول "القيم المشتركة" هو أن إسرائيل وبريطانيا تحلمان مسؤولية مشتركة. فبينما كانت القوات الصهيونية مسؤولة بشكل مباشر عن النكبة - التطهير العرقي لفلسطين في العام ١٩٤٨ - كان الذي سهّل جرائمها، وحرّضها على ارتكابها في بعض الحالات، هو السلطات البريطانية.

النقطة الأولى المهمة هي أن "الهaganاة"، الميليشيا الصهيونية الرئيسية في ذلك الوقت، كانت قد تدربت إلى حد كبير على يد القوات البريطانية عندما حكمت بريطانيا فلسطين في الفترة بين الحربين العالميتين.

على الرغم من أن "الهaganاة" كانت غير قانونية، فإن البريطانيين اعتمدوا عليها عند القيام بعمليات نصب الكمائن ضد الثوار الفلسطينيين في فترة الثلاثينيات.

كما قدمت "الهaganاة" الآلاف من الرجال الذين انضموا إلى قوة الشرطة الموازية -إدوام جزئي- التي جمعها البريطانيون أثناء محاولتهم سحق الثورة الفلسطينية، وتم جلب قادة الهaganاة إلى "فرق ليلية خاصة" بقيادة أوردي وينجيت، الضابط البريطاني المعروف بعنفه بشكل خاص.

عمل وينجيت عن كثب مع إسحق تساده، قائد عمليات "البالمخ" الذي أصبح فيما بعد شخصية عسكرية رئيسة خلال النكبة وأحد مؤسسي الجيش الإسرائيلي.

ويعزى الفضل في تعاون الثلاثينيات بين الطرفين إلى بيغال ألون، وهو جنرال أصبح سياسياً رفيع المستوى، أخرج قوات "الهaganاة من خنادقها ومن وراء أسلحتها الشائكة إلى الختل المفتوح، وهو ما جعلها

تتبنى نوعاً أكثر نشاطاً من الدفاع.

يعني هذا أن وينجيت، الذي كان شخصاً غريب الأطوار والذي تمتع بدعم من رؤسائه في فترة حرجة، ساعد في تشكيل تكتيكات وفكر الرجال الذين قاموا بتجريد الفلسطينيين من ممتلكاتهم قسراً وطردهم من ديارهم في العقد التالي.

المدينة الحيوية ذات الأهمية الاستراتيجية، خلال اليوم أو اليومين المقبلين.

وأضاف في برقيته إن أولوية الجيش البريطاني تتمثل في حماية الطرق والمنشآت التي تعتبر ضرورية لإجلاء القوات البريطانية، وحالما يتم تحقيق هذا الهدف، فإن بريطانيا "ستسمح لليهود والعرب بأن يتقاتلوا حتى النهاية في الأجزاء الأخرى من المدينة".

وفي الطريق تجاهلت التعليمات بالسماح للأطراف المتحاربة "بالقتال حتى النهاية" كيف كانت عمليات "الهaganاة" أقوى عديداً ومهجرةً بأسلحة أكثر حداثة مما لدى القوات العربية.

عندما وقع الهجوم، استولت القوات الصهيونية بسرعة على جزء كبير من حيفا. ورفض الجنرال البريطاني، هيو ستوكويل، السماح للتعزيزات العربية بالتقدم نحو المدينة. كما أمر القوات البريطانية أيضاً بالنسحاب.

ثم أمر ستوكويل القوات العربية بنزع سلاحها. وطلب من "جميع الذكور العرب" التجمع في مكان معين حددته قوات "الهaganاة"، بحيث يمكن طرد هؤلاء الرجال "تحت السيطرة العسكرية".

واشتكى القادة الفلسطينيون في حيفا من أن الظروف التي فرضها

ستوكويل كانت غير عادلة. لكن البريطانيين طلبوا من الفلسطينيين،

من دون أي بديل قابل للتطبيق، مغادرة المنطقة.

بينماكان المواطنون الفلسطينيون يفرون -حُفظ بالملابس التي يرتدونها حسب ما ذكر- قامت قوات "الهaganاة" بإطلاق النار على سيارة إسعاف، ونهب مستشفى، والاستيلاء على محتويات منازل الفلسطينيين. ومرة أخرى، ظل البريطانيون في موقف المتفرج.

من خلال ترك الفلسطينيين بلا أي خيار سوى مغادرة حيفا، كان ستوكويل شريكاً في عملية الطرد الجماعي لأهلها. وساعدت السيطرة الصهيونية على حيفا، والتي قام ستوكويل بتسهيّلها، في تحويل المدينة إلى ما وصفه دافيد بن غوريون بـ"المدينة الجثة".

وهنا، يجب التأكيد على أن بن غوريون كان يحنّذ تحويل المجتمعات الفلسطينية إلى مدن جيث. وقد توقع أن يتم تكرار "النجاح الصهيوني" الذي تحقق في حيفا في جميع أنحاء فلسطين.

في غضون بضعة أسابيع بعد ذلك، أعلن بن غوريون رسمياً تأسيس دولة إسرائيل. وأصبح أول رئيس للوزراء فيها.

لكن مشاركة بريطانيا في فلسطين لم تنته عندما تخلت عن ولاية عمية الأمم. فعلى مدى معظم العقود السبعة التي مضت منذ قيام إسرائيل، قدمت بريطانيا لها المساعدات العلمية والخطابية. ولم تكفّ النخب الحاكمة في فلسطينيا بدورها في تعزيز جريد الفلسطينيين من أراضيهم في العام ١٩٤٨. وإنما قامت بإطالة أمد معاناة الفلسطينيين وتفاقمها، بينما تواصل الزعم أنها تؤمن بالعدالة.

عن موقع "الانتفاضة الالكترونية"

# سيكون لنقل السفارة الأميركية الى القدس تداعيات خطيرة

عليها إسرائيل بعنف، ومن المتوقع أن تخرج مظاهرات عارمة خلال الأسبوع الجاري احتجاجاً على نقل السفارة.
وجل ذلك يشكل دلالة أخرى على أن الولايات المتحدة قد لا تصبح في نهاية المطاف طرفاً محايداً في أي اتفاقات بشأن السلام في الشرق الأوسط. وهو ما يزيد من صعوبة التوصل إلى حل دائم، لكنها مشكلة قد تستمر لسنوات وتتعامل معها إدارات أخرى، أما الآن، فترامب لديه المصفقون الذين يريدهم في الداخل وفي إسرائيل.

ولا تقتصر النظر القاصرة لترامب على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، بل يتهم البعض مثل، العالم السياسي الفرنسي برونو تيرتيزيس، الرئيس الأميركي بعدم امتلاك خطة طويلة الأمد أو استراتيجية.

ويسود أن ذلك ينطبق أيضاً على توجه ترامب إلى عقد محادثات سلام مع زعيم كوريا الشمالية كيم جونج أون، فمن المزمع أن يلتقيا في الثاني عشر من حزيران في سنغافورة، وهو حدث سينجم ترامب قدراً كبيراً من التغطية التلفزيونية التي يحببها.

عن «واشنطن بوست»

«كاتب بريطاني متخصص في الشؤون الخارجية.

بلا حول ولا قوة

كانت العلاقة بين بريطانيا والحركة الصهيونية معقدة بوضوح. فمن خلال إعلان بلفور، العام ١٩١٧، تولت بريطانيا دور الراعي الإمبراطوري للمشروع الصهيوني، وتم تنفيذ سلسلة من الإجراءات لتعزيز جهود الاستعمار في فلسطين. ومع ذلك، لم يكن إيقاع الأحداث سريعاً بما فيه الكفاية في نظر العناصر الأكثر تطرفاً في الحركة الصهيونية.

ولما كانوا غير سعيدين بأن دولتهم اليهودية المبتغاة لم تتأسس بعد، بدأت مجموعتان صهيونيتان مسلحتتان (أرغون وليجي) في شن حرب عمليات ضد بريطانيا في أربعينيات القرن الماضي. وأدت الاضطرابات التي تبثت ذلك والضعف الأكثر عمومية الذي أصاب الإمبراطورية إلى جعل بريطانيا تقتر الختلي عن الولاية (الانتداب) التي منحتها لها عصبة الأمم وحكمت فلسطين بموجبها.

لكن النكبة كانت جارية فعلياً قبل وقت طويل من الموعد الذي حددته بريطانيا لإنهاء حكمها في فلسطين، ١٤ أيار ١٩٤٨.

وكان على البريطانيين- طالما ظلوا في فلسطين، التزام بحماية الفلسطينيين من الأذى.

لكن البريطانيين تكوّنوا بالتزامهم، وفي ٩ نيسان من ذلك العام، نفذت القوات الصهيونية فورة من عمليات القتل في دير ياسين، القرية الفلسطينية القريبة من القدس، وأقر الآن كانيغهام، المفوض البريطاني السامي في فلسطين، بأن "عمليات قتل جماعي متعمد ضد المدنيين الأبرياء" قد وقعت، ولكنه قال إن القوات البريطانية "لم تكن في وضع يمكنها من اتخاذ إجراء في هذا الشأن بسبب قوتها المتلاشية والتزاماتها المزديدة".

من بين حوالي ٨٠٠,٠٠٠ فلسطيني سيطردون أو يفرون من منازلهم بسبب الهجوم الصهيوني في العام ١٩٤٨، كان أكثر من ٤٠,٠٠٠ قد شردوا ونزحوا عن قراهم مسبقاً بحلول الوقت الذي غادر فيه البريطانيون.

هل كانت بريطانيا عاجزة حقاً؟

في العام ١٩٤٨، كان هناك حوالي ١٠٠,٠٠٠ جندي بريطاني في فلسطين. إلى جانب قوة شرطة بقيادة بريطانيا، وكان لدى "الهaganاة" حوالي 5٠ ألف عضو، ولو أن حوالى نصف هذا العدد فقط هم الذين ربما كانوا مقاتلين ناشطين.

وهكذا، يكون الاستنتاج الحتمي هو أن بريطانيا كانت تستطيع أن تحول دون المعاناة الفلسطينية، لكنها اختارت أن لا تفعل.

"فليتقاتلوا حتى النهاية"

كان الأمر ببساطة قضية تقاسن عن العمل. وفي ٢٠ نيسان ١٩٤٨، أرسل سيريل مارايوت، القنصل البريطاني العام في حيفا، برقية إلى المسؤولين في لندن لإبلاغهم على الوضع الذي كان يواجهه. وأشار إلى أنه من المتوقع أن تتاجم القوات الصهيونية مدينة حيفا،



11

## حل الدولتين: رؤية أميركية مختلفة

بقلم: عاطف الغمري

لاي مشكلة. ثم يضيف أن الرئيس ترامب قد أوفد نائبه، مايك بنس، إلى المنطقة بعد قرار نقل السفارة إلى القدس. وأن المسؤولين في البيت الأبيض كانوا يتوقعون أن يمر الفلسطينيون بفتره يحدث خلالها تبريد لصرارة الموقف، وبعدها يعودون إلى مفاوضات بناءة ترعاها الولايات المتحدة.

لكن بدلا من الانتظار الصبور لتبريد سخونة مشاعر الفلسطينيين، فإن إدارة ترامب القت بالوقود على النار. وكان ذلك بالطبع بعد ما أعلنته من أنه لا تراجع عن قرار نقل السفارة. من ثم جاء رد فعل الفلسطينيين الغاضب متوقعا.

هذه المناقشات كانت تجرى بمحادثات مداولات أوسع نطاقاً، تتطرق إلى مفهوم الأمن الإقليمي من زاوية الإدراك بأن أمن كل طرف في المنطقة، يتداخل مع أمن الأطراف الأخرى. وأن هناك اعتماداً أمنياً متبادلاً في حدود جغرافية المنطقة.

كذلك لم يذهب بعيدا عن هذه الدائرة، تقرير مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن، في عرض للتحديات والأزمات في الشرق الأوسط، وأنها جميعاً تشكل جوانب متعددة لمنظومة الأزمات في المنطقة. وهو ما يعني أنك لا تستطيع أن تركز جهودك على واحدة منها، وتستبعد الجوانب الأخرى، لأن ذلك معناه أنك تسعى لتحدهة التوترات في جبهة معينة، وتتركها ملتهبة في الجبهات الأخرى.

ويشير مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية إلى أن المجال الأمني المتغير في الشرق الأوسط، يؤثر تساؤلات عن التغيير في الأدوار التي تلعبها القوى الدولية والإقليمية في إدارة الأزمات، وفي ضمان الاستقرار في المنطقة. مع ملاحظة أن الأزمات المشتعلة في سورية، والعراق، وليبيا، واليمن، مستمرة في إفراز عواقب وخيمة سياسية وإنسانية. مع عدم تجاهل تورط أطراف في هذه الأزمات، على رأسها منظمات الإرهاب، وهي منظمات عابرة للحدود، وقادرة على التسلل من دولة لأخرى.

من ثم كان التساؤل عن وجود فرص لتدخل إيجابي من الولايات المتحدة، بمثابة تساؤل يعبر عن قلق مشروع، طالما لا يلقى إجابة عنه حتى الآن.

عن "الخليج"

## ترامب يقود أميركا إلى الأسوأ

بدلا من ذلك، أصبحنا الآن في الأسوأ بين كل العوامل الممكنة. لقد انتهكنا اتفاقا مع إيران، لكننا غير قادرين على فرض نظام جديد للعقوبات في مكانه. وبدلا من القيام باستثمار دبلوماسي، نقوم الآن بإصدار الأوامر بالصراخ والباح.

وكما لاحظنا، مباشرة بعد إعلان ترامب، أصدر السفير الأمريكي في ألمانيا تهديدا على تويتر: "على الشركات الألمانية التي تقوم بأعمال تجارية في إيران أن توقف عملياتها على الفور".

ونتيجة لذلك، لا يتحدث القادة الأوروبيون الآن عن إيران. إنهم يتحدثون عن كيف يحومن شركاتهم من العقوبات الأمريكية، وكيف يمكنهم أن يردوا عليها.

بدلا من القيام باستثمار عسكري في المنطقة، نقوم بحث الآخرين على القيام بذلك نيابة عنا. وفي مجلة للحكومة الإيرانية، علمنا للتو بأن ترامب أرسل رسالة في الفترة الأخيرة إلى حلفائه العرب، والتي يطلب حل فيها النزاع بتقديم المزيد من الموارد العسكرية لهم

مشكلات الشرق الأوسط. وهو شان عاد بما يكفي، ولكن إذا لم تكن هذه مواردك، فإنك لا تستطيع أن تقرر كيف سيتم استخدامها. وفي الحقيقة، هناك مجموعة من الحكومات العربية المنخرطة مسبقاً في حروب في الشرق الأوسط.

السعودية تحارب مسبقاً في اليمن، حيث ليس لنا الكثير من القول فيما يحدث هناك. وليست لنا أي سيطرة على ما يحدث في ليبيا أيضا، حيث تشارك مصر والإمارات العربية المتحدة ودول أخرى مسبقاً في حرب بالوكالة. وإذا ما انتشر الصراع إلى إيران، فإن الشيء نفسه سيكون محيحا.

إلى أي مدى يمكن أن يصل دونالد ترامب بالصراخ والتحريض، وبالتحدث عن كم هو حلف الناتو أو العالم العربي "مديان" لاميركا؟ إلى أي مكان يستطيع أن يصل من دون الاستئثار في الحلفاء، في الدبلوماسية، وفي الانخراط العسكري؟ ربما بعيدا جدا. كانت تلك اللحظة من الهيمنة الأميركية مثيرة للإعجاب حقا، وهناك الكثير من الأماكن التي لم تتلاش فيها الحالة بعد. سوف يستغرق الأمر الأوروبيين بعض الوقت، ناهيك عن الروس والصينيين، حتى يعثروا على طريقهم للانلغاف حول العقوبات الأميركية على طهران، ويتكروا طرقاً بديلة للاستثمار، ولخلق مصادر جديدة للائتمان خارج النظام المصرفي الدولي الحالي، سوف يتطلب الأمر بعض الوقت قبل أن تترك الدول معادة التسلسلج من الشرق الأوسط أنه لم يعد هناك أي سبب – ليس بعد الآن – لاستشارة حكومة الولايات المتحدة قبل أن تذهب إلى الحرب. وسوف يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تصبح السياسة الاقتصادية الأميركية شادة جداً إلى درجة يقرر معها الآخرون أن لا يحتفظوا بالدولار ليكون عملتهم الاحتياطية. وأن لا يحتفظوا بمكان للاميركيين على قمة الطاولة.

ربما لا تزال هناك الكثير من السنوات التي ستأتي قبل أن يلاحظ الأميركيون تماما أن "الهيمنة بثمن رخيص" تعني أنه لم يعد لديهم بعد الآن الكثير من القول فيما يحدث خارج حدودهم، لكن تلك اللحظة أتية حتماً، عاجلاً أم آجلاً. وربما يكون ترامب قد سرع وسولها فحسب.

عن «واشنطن بوست»

«واشنطن بوست»